

نافذة

المجتمع والحب

دار حديث بيني وبين أحد القراء الأجلاء حول ما أكتبه في الحب، وكانت ملاحظته محل اهتمام، فما دمت أعتقد أن السبيل الوحيد للخلاص مما نحن فيه، وللوصول إلى حياة مشرقة جميلة وسعيدة هو الحب، فما الداعي للتمثل، في أن أتحدث عن الحب عند هذا وذاك؟ والسؤال الأكثر نكاه وخبتاً كان أما من مثال عن حب الإنسان للإنسان في زماننا ليعوض هذا النقص؟ إنه نقاش مجد، ولكن الأمثلة الرفيعة في الأدب والثقافة والفكر نادرة حقاً، بل ومحبطة، ومنذ ثماني سنوات مع بداية الحرب على سورية كبتت، وكنت أتمنى أن أكون مخطئاً أن يصوروا أن الفتنة تمكنت من البسطاء!!

نافخي الجمر لإشعال سورية وإيقاد الحرب عليها، بل لقد استنتجت بألم وبقراءة ميدانية أن المواطن العادي والبسيط هو الذي حافظ على سورية، على عكس ما يحاول الكثيرون أن يصوروا أن الفتنة تمكنت من البسطاء!!

البسطاء في كل جانب بقوا بسطاء، وبقوا وقوداً لنار أحرقت البلد فيها نخبة من المثقفين والسلطويين وطالبي السلطة، الذين يحاولون أن يتحدثوا فيقتنعوا، وأن يستنصروا ما أراداه الأسياد لهم من فتن مينة لا تائمه، وجعلوها تقف على سوقها، وتتحرك بيننا، وتمشي بكل زينتها لتزين لنا الكره!

تعالوا لنعدنا ما فعل المثقفون والسلطويين والمصلحيون في الداخل، سنكتشف أنهم كانوا ضد كل شيء يتعارض مع مصالحهم، وأنهم تعاملوا مع الوطن على أنه مكان ومستراح وملكية لا يجوز لأحد أن يقترب منها إلا إذا كانت النتائج في جيبهم ومصالحهم، وهنا لا يستثنى المثقفون الفارغون الذين كانت كل آمالهم محصورة في الحصول على مكسب أو منصب أو ما شابه! والشواهد أمامنا عن عدد منهم لم يكن شيئاً في الحرب صار سيداً وغنياً ووجيهاً.. وأسماء المثقفين لم يتمكنوا من الغنائم فاختاروا الصمت ثم قبلوا ظاهر تعاملاتهم ليقتنصوا من الدولة غنائم لا تحصى معروفة، وجميعنا سمع في بداية الحرب كلاماً ثم رأى ما يخالف هذا الكلام، ونجد من يسوغ له ذلك بقوله: لقد اكتشف الحقيقة!! والحقيقة أن مصلحته هي الحقيقة وحدها، والدليل على ذلك أن مسيرته كلها لا تحمل أي حب أو عناية بالآخر، بل كان يدينهم العمل على رفع نسبة التأفف والتمتر، واستلاب الحقوق من أصحابها إكراماً لكرهه للوطن والإنسان يتغلغل في أعماقهم!! وأزعجهم أن هؤلاء أسهموا إسهاماً كبيراً في تطبيق عدل لا يستهان من الطاقات، ليخلو لهم الجو، وقد قال العربي قديماً (خلالك الجو) فأني نتيجة كانت لخلو الجو!! وأقول لصديقي: هل ينفع هؤلاء للحديث عن الحب في زمن استثنائي تعيشه سورية؟

بل أسأله لما أشار إليه من طرف خفي، عندما قال: ماذا تستفيد في الانتقاد؟ دع كل شيء، ولا تلتفت، وتحدث عن مظاهر الحب في حياتنا! أسأله هل الحب للوطن والإنسان يقتضي ذلك الصمت الذي تطلبه؟ وما قيمة أغنيات الحب، وقصائد الوطن في وطن تكالبت عليه القوى الشريرة، وهناك من ينفث من الداخل لإلغاء أي بارقة أمل في تجاوز الكره والانتقال إلى الحب!

لو أدت أن أخذ نماذج من الحب في زماننا بين أديباتنا ومثقفينا من الذي يمكن أن يسلك في هذا السلك المقدس؟ والوطن؟

وإذا ما تحدثنا عن المثقفين في الخارج فالطامة كبرى، والألم أكبر، هل أتاك حديث المثقف الذي عاش حياته علمانياً، ليكتشف في النهاية أنه من هذه الطائفة أو تلك، ويصبح صاحب رأي دولاري راحته منتنة؟! هل أتاك حديث ذلك الذي صنع إعلاماً على مقاسه، وصار يطل والشاشات في كل ما يصور! وصار مخطط الثقافة، بل وأصبح مؤلفاً وله مقالات في كتب، ليخرج علينا بما سلبه من سورية مثقفاً وثائراً، وكل ما يقوله يخالف ما رأيناه بنشامه؟! هل أراه محباً لسورية، وإن بسمل أو حوقل أو رسم شارة الصليب؟

هل أتاك حيث ذاك الذي لم يبق تجاوز لم يقدم عليه، ولم يبق منكر لم يقترفه، ولم يبق تهريب لم يفعله، والأن يتحدث عن سورية وجهها؟! هل يصلح هذا يا صديقي للحديث عن الحب؟

هل يصلح هذا نموذجاً للحب أمام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الذي قال كلمة حب وإيمان، وغادر بسببها، والحب أن أجملة لها ظاهر وباطن؟ هل أتاك حديث المدللين والمدللات وما أدراك ما المدللات الذين استنزفوا وكانوا مقربين، وتسلقوا، وجعوا، ثم صاروا روايين لفظائح النظام كما سردوها وصوروا ما لا يمكن قبوله أو تصوره، ونسوا كيف وصلوا هم؟! إن أردت يا صديقي أهديك شعراً وقصة لهؤلاء كله نشر خارج سورية، وكلهم من الأسماء المدللة قبل وبعد! فهل يصلح هؤلاء نموذجاً للحب؟! أريت من يتحدث ويدافع عن الظلم وهو لم يذقه؟ أريت من يدافع عن القتل وهو في أمان؟ أريت المثقل الذي يدافع عن التعصب؟ أريت الطائفي والمذهبي في عمقه وهو يقنعك بالعيش والتعايش؟

الحب قداسة مختلفة، من أجلها لا قيمة للروح والجسد، لأن الروح بالحب تبقى محومة.. الحب طهر لا حياة فيه إن أي نوع من أنواع الخيانة الفردية أو الجمعية يخرجه عن حقيقته الطاهرة التي تبني، ولا يمكن أن نقرأ الحب عند كاره، وليس من حق حادق أن يعلمنا الوطنية وحب الوطن.

قال صديقي لي: هل يمكن أن تكون الصفة كالقتل؟! من المؤكد يا صديقي ليس الصفع كالقتل، لكن الحب يأبى قتل له، سواء قتل أم بقي!! أريت إحدى الدول العربية التي تهرع إلى عدم تعنيف الكلاب والهررة في الوقت الذي يمسحون فيه الأرض بكرامة الإنسان السوري؟! أريت يا صديقي؟

الحب سمو، ويحتاج إلى من عرف السمو، والسمو لا أراه إلا في الناس العاديين الطبيعيين الطيبين، وهؤلاء إليهم أتوجه، وأضع بين أيديهم نماذج الكبرى، وصولاً إلى التماهي بين حب إنسان ووطن وإله.

إسماعيل مروة

سوسن صيداوي

«أحلامي لم تتغير، سورية هي حلمي، لا أملك حلماً آخر». لطالما الدموع انهمرت دون أي خجل، تشق طريقها على الوجنتين لتعبر عن أسى العواطف والشجون، هي بجبها العميق أوجعته، وما حل عليها من سواد ظلمات لم يكسره رغم الأحران، لكنه قرر بأنه سيبقى في سوريته، وما جها الأزيمة مع كل أمين على هذا الحب العميق، متمسكين بالأمل بأن سورية لن تسقط وإن حصل—وهو أمر مستبعد—فسيسقط معها العالم بأسره، عاش المفكر والباحث الطيب تيزيني على أمل أن ينتهي زمن الحرب، وبأن أبناء سورية سيعيدون بناءها، لكنه ودعنا منتظراً هذه اللحظة في مدينة حمص مسقط رأسه عن عمر يناهز ٨٥ عاماً، منكباً على كتابة سيرته الذاتية، بمساعدة ابنه الباحث الاجتماعية منار تيزيني، التي وظمت على تحرير السيرة، وعلى تنظيم مواعيد الدواء، كما أشرفت على مراسلات الأب مع مؤتمرات ولقاءات وندوات دولية. غادرنا الطيب بعد أن قدم لنا إرثاً ثقافياً علمياً تويرياً، مؤلفاً في مشروع نهوضي، معتمداً على الفلسفة في تقديم قراءة للفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن، في وداع مفكرنا وباحثنا الطيب تيزيني نتوقف معكم في بعض المسامح والآراء الخاصة به في حواراته المسابقة.

بداية الشوار

نشأ المفكر الطيب تيزيني في بيت ذي مناخ معرفي وثقافي، واستطاع من خلال مضافة والده—«قوناق» وهي تسمية تركية تعبر عن معنى صالون أو مضافة— الفكرية والثقافية أن يلتقي شخصيات مختلفة ذات اتجاهات فكرية متباينة، ولعل من أهمها: الشيخ طاهر الرئيس، والخوري عيسى أسعد، الجو المناخي الذي نشأ به اتسم بالانفتاح على الفكر والثقافة والأدب والفلسفة والفنون، وحتى تدين والده لم يكن من النوع المنغلقي على الفكرة أو الذات، بل كان تديناً منفتحاً على الفكر الأخر، وبالعودة إلى المضافة الثقافية، تعلم الطيب بأن هناك عالماً آخر من الأفكار، وسعة هذا العالم الفكري تضطر الإنسان إلى التواضع والتفكير عميقاً في هذه السعة، التي كان يغذيها من خلال مشاويره التي لطالما كان يقضيها مشياً على الأقدام لأنه رجل لا يحب أن يركب سيارة، فلمشي عنده متعة وعرفه لا محدودة بالجانب الأخر، ووسيلة تؤمن اتصالاً بينه وبين الناس عبر اللقاءات والمناقشات والحوارات، وفي تأملهم لنشاطاتهم وحركاتهم، فينظره هذه طريقة تعلم، وأسلوب يخلق متعة «المشي حالة فريدة من التعلم والتعرف إلى الحياة، لأرى ما أراه، وأسمع ما أسمع، وأنا أسير وأتحرك بحالات كثيرة وخصوصاً القراء».

عن حمص

بقيت حمص نابضة في وجدان الطيب تيزيني، وحسب

الطيب تيزيني قائمٌ فكريةً سوريةً تغادر بعد أن بكت بحرقه واقعاً يغطيهِ الظلام

بعد رحلة عطاء فكرية ثرية يغادر الطيب تيزيني

لست غاضباً ولا محبطاً ولا يائساً كل الأمل أملكه وسورية ستدافع عنها البشرية بأكملها



• حصل على الدكتوراه في العلوم الفلسفية سنة ١٩٧٣.

• تم انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

• عمل في التدريس في جامعة دمشق وشغل وظيفة أستاذ في الفلسفة حتى وفاته.

مؤلفاته

ظل الطيب تيزيني طوال فترة دراسته مقلداً في الكتابة والتأليف، حتى أصدر أول كتاب باللغة الألمانية عام ١٩٧٢ بعنوان «تمهيد في الفلسفة العربية الوسطية»، والذي كان مقتبساً من دراسته لنيل درجة الدكتوراه، إلا أن ذلك كان بداية لانطلاق تيزيني وإصداره لكتب ومؤلفات عديدة كان منها:

• مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط عام ١٩٧١.

• حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم الثالث: الوطن العربي نموذجاً عام ١٩٧١.

• توجيه غارودي بعد الصمت عام ١٩٧٣.

• من التراث إلى الثورة— حول نظرية مقترحة في التراث العربي عام ١٩٧٦.

• فيما بين الفلسفة والتراث المؤلف نفسه عام ١٩٨٠.

• التفكير الاجتماعي والسياسي: أبحاث في الفكر العربي الحديث والمعاصر عام ١٩٨١.

• مشروع رؤية جديدة للفكر العربي منذ بداياته حتى المرحلة المعاصرة من ١٢ جزء عام ١٩٨٢.

• الفكر العربي في بواكيره وأفاقه الأول: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي الثاني عام ١٩٨٢.

• من يهود إلى الله (في مجلدتين) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي الجزء الثالث عام ١٩٨٥.

• دراسات في الفكر الفلسفي في الشرق القديم عام ١٩٨٨.

• ابن رشد وفلسفته مع نصوص المناظرة بين محمد عبده وفرح أنطون/ تأليف فرح أنطون، تقديم طيب تيزيني عام ١٩٨٨.

• في السجل الفكري الراهن: حول بعض قضايا التراث العربي منهجاً وتطبيقاً عام ١٩٨٩.

• على طريق الوضوح المنهجي— كتابات في الفلسفة والفكر العربي عام ١٩٨٩.

• فضول في الفكر السياسي العربي عام ١٩٨٩.

• مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر نشأة وتأسيساً مشروع رؤية جديدة للفكر العربي، الجزء الرابع عام ١٩٩٤.

• من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب الغربي— بحث في القراءة الجارية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية عام ١٩٩٦.

• النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي الجزء الخامس عام ١٩٩٧.

• من ثلاثية الفساد إلى قضايا المجتمع المدني عام ٢٠٠١.

• من اللاهوت إلى الفلسفة العربية الوسيطة عام ٢٠٠٥.

• بيان في النهضة والتنوير العربي عام ٢٠٠٥.

• وصدر له بالاشتراك مع آخرين:

• تاريخ الفلسفة القديمة والوسيلة بالاشتراك مع غسان فينسان عام ١٩٨١.

• الإسلام ومشكلات العصر الكبير مع بحث لباحث آخر عام ١٩٩٨.

• الإسلام والعصر: تحديات وأفاق، بالاشتراك مع محمد سعيد رمضان البوطي سلسلة حوارات لقرون جديد، إعداد وتحرير: عبد الواحد علواني عام ١٩٩٨.

• الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة مع آخرين، مراجعة وتقديم ناصيف نصار عام ٢٠٠١.

• آفاق فلسفة عربية معاصرة بالاشتراك مع د. أبي يعرب المرزوقي عام ٢٠٠١.

بناء ما يتعين على بناؤه... ثم تركته جانباً، لأصبح بدلاً منه مشروعاً آخر تماماً، عنوانه «من التراث إلى النهضة».

عن الغالبية... سورية

في حوار نشر عام ٢٠١٧ في جريدة الأخبار، وفي سؤال عن الأزمة السورية قال مفكرنا الطيب الثاني «هذا بندر بأن سورية قد تمزقت، لكن هذا لن يحدث. سورية في لحظة واحدة يمكن اكتشافها متأخية حتى النهاية، حيث لا يستطيع هؤلاء الأعراب أن يأخذوا ما يأخذون، ولذلك نطمئن رغم أن الأمر سيكلف كثيراً، ونقول: «ليكن، إن سورية تساهل تاريخياً بأكملها». متابعاً في مكان آخر: «أحلامي لم تتغير، سورية هي حلمي، لا أملك حلماً آخر. ازداد هذا الحلم حضوراً في حياتي، خاصة بعد زيارتي إلى ألمانيا وتقديمي محاضرة أمام مستشرقين كان سؤالهم الأكبر: هل تعود سورية؟ قلت لهم: أريد أن أستطيع أداء عملي، سورية التي تعرفها لا يمكن انتزاعها من أرضها. قلت لهم: هذا رأيي. حينما تسقط سورية، يسقط العالم، وهذا لن يحدث. وسأروي هنا حادثة عشتا: كلما مررت في الشوارع والبوت، اكتشف طاقات هائلة، واجهت رجلاً معمرًا في الشارع يبتغي المساعدة، سأته: ماذا تريد غير المساعدة؟ قال: أن أستعيد صحتي وأعمل من أجل سورية. قلت له: هل تستطيع العمل؟ قال: الآن لا، لكن سأملك قوة جديدة حين أسمع أخباراً جديدة عن سورية. بالختصر، الناس يريدون بارقة أمل. لذلك، لا شك في أن سورية عائدة، ستعود حتى لو ذهبتا نحن. سيكون هناك من يقوم بالعمل، فالمشروع مفتوح». وفي ختام الحوار نفسه يتابع دكتور الطيب تيزيني «لست غاضباً ولا محبطاً ولا يائساً أبداً، كل أملك، سورية ستدافع عنها البشرية بأكملها. بمجرد أن ينتهي زمن الحرب، سيبدأ بناء سورية بناءً. إننا نسعى إلى هذه اللحظة. لحظة إعادة البناء».

سيرة ذاتية

• ولد الدكتور طيب تيزيني في مدينة حمص سنة ١٩٣٤، وفيها قضى طفولته وتعلم دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية.

• انتقل إلى تركيا ليبدأ رحلته مع دراسة الفلسفة، وغادرها إلى بريطانيا ثم إلى ألمانيا.

• حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٦٧ عن أطروحة بعنوان «تمهيد في الفلسفة العربية الوسيطة»، وهو بحث نشر بالألمانية عام ١٩٧٢.

مسرح الظل في حياتنا

الظاهرة التي بشرت بولادة المسرح العربي

كاملاً بوجدان الشعب ويعيش تقاليده وإذا كان هذا المسرح يعتمد أسلوب المبالغة في إبراز العيوب في إطار عدم التناسق في رسم الشخصية، فقد كان الهدف من ذلك الوصول إلى الجمهور بالثقة والتوجيه.

أما بابات (فضول) هذا المسرح فإن منها ما هو متوارث، ومنها ما وضع في فترة لاحقة بهدف تقويم السلوك، كما أن من هذه البابات ما هو مستمد من الواقع حيث يقوم على تناول سلوك الناس ومن جهة أخرى، فإن من الممكن القول أن ليس للمرء أن يحكم على ما يقدمه مسرح الظل من خلال قراءة النصوص وحسب، لأن مسرح الظل لم يكن مجرد نص فقط، بل إنه إضافة إلى ذلك مجموعة من العناصر المتشابكة المترابطة، ومن ذلك الرسوم المميزة للشخص وهياتها وقسماتها وأزيائها، وكذلك حركة الشخص على الشاشه، وأشكال ظهورها، وتفاعل ذلك مع الحوار، وتصعيد هذا التفاعل المتكامل مع متطلبات الموقف ومدى تفاعل المتفرجين.

وهذا كله يرتبط ببراعة المخاليل (الكركوزاتي) وسرعة وخفة يده ورشاقته في الحركة. وإذا كان الكركوزاتي يسبغ على الشخص الأوصاف ويخفي على أستهنا مستخلصاً النقطه المطلوبة فإنه كثيراً ما كان يوظف تلك الشخص لإيصال ما يريد إلى المتفرجين فضلاً عن هذا، فقد كان يساعد الكركوزاتي جوقة موسيقية تتصدر المكان إلى جانب الخيمة، وهذه الجوقة تساعد على إراحة الكركوزاتي خلال العرض، وفي فترة الاستراحة كما قد يقوم الكركوزاتي بالغناء، أو يفسح المجال لأحد المشاهدين بذلك.



وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وهذا يفسر امتزاج فن الظل امتزاجاً كاملاً بوجدان الشعب فيعيش تقاليده حتى لكأنه يقوم بوظيفة المرأة التي يرى فيها الشعب مناهبه ونقائصه.

وإذا كان هذا المسرح يعتمد أسلوب المبالغة بإبراز العيوب، أكان ذلك في عدم التناسق برسم الشخصية التي تشارك في الباية (الفضل) أم في الدور المسند إليها، فقد كان الهدف من ذلك الوصول إلى ما كان، وما هو كائن وما ينبغي أن يكون في حياة الناس، وقد كان لهذا المسرح دور مهم في الحياة الاجتماعية لما له من كيان مستقل في التأليف والأداء، وذلك قبل أن يعرف الناس وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

وهذا يفسر امتزاج هذا المسرح امتزاجاً

وقد عرف العرب في الظل في العصر الوسيط بواسطة الفنون والسلاجقة، إبان القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر للميلاد عبر بلاد فارس والأناضول، فواكب الحياة العامة واستقر به الأمر بالقاهرة حيث ازدهر وانتشر في بلاد العرب.

أما صلة العثمانيين الأتراك بمسرح الظل فيرجعها ابن إياس إلى العرب، ذلك أنه بعد أن اجتاحت العثمانيون بلاد الشام وانتزعوها من المماليك، إثر موقعة مرج دابق قرب حلب فإن العثمانيين لاحقوا فلول المماليك إلى مصر، وانتصروا عليهم، وقبضوا على الحاكم المملوكي طومان باي، وشقوه على باب زويلة بالقاهرة، وفي المساء مثل السلطان العثماني انتصاره على المماليك، فأعجب السلطان بذلك وأخذ

منير كيام

لعل كثيراً من شباب هذا الجيل لا يستطيع أن يتصور أن السينما التي يرتادها الناس، وما يقدمه التلفاز، ووسائل المعرفة المرئية الأخرى، قد مرت بأطوار، كان من أهمها مسرح الظل، فهو مسرح يتميز بقربه إلى التكامل فشخصه بشر تمثل صوتاً وخيالات تظهر صوراً وله مكان للعرض مع إضاءة تراعي حركة الشخص، كما أن له قصة لها بداية ونهاية إضافة إلى الجمهور الذي يشاهد بلا أجر فضلاً عن ذلك فإن مسرح الظل غير مسرح العرائش المتحركة بخيوط من أعلى كما أنه غير مسرح الأرفعون الذي تتحرك شخصوه بقفزات باليد من الأسفل.

وفوق هذا وذاك فإن مسرح الظل يمكن أن يعتبر مثيراً يظهر المسرح في بلاد العرب فضلاً عن هذا فإن خيال الظل لغة، إضافة لمقولة أرادوا بها ظل الخيال، دلالة على الأصل الذي يتعكس الظل عنه. أما نشوء مسرح الظل ووصوله إلى بلاد العرب فيمكن إرجاع فن الظل، إلى بلاد جنوبي شرق القارة الآسيوية، أكان ذلك بلاد الهند، أم سيلان واليابان، أو بلاد الصين.